



البناء الديني لمنطقة نجران منذ العصر الجاهلي المتأخر وحتى نهاية صدر الإسلام : من سقوط مملكة حمير حتى نهاية عهد الخلفاء الراشدين (*)

د. عوض بن عبد الله بن ناحي

(*) دراسة منشورة في كتاب : القول المكتوب في تاريخ الجنوب، لغيثان بن جريس، (الجزء السابع عشر) (الطبعة الأولى) (الرياض : مطابع الحميضي، ١٤٤١هـ / ٢٠٢٠م)، ص ص ١٧٢ - ١٨٨ . (الطبعة الثانية، ١٤٤٢ هـ/٢٠٢٠م)، ص ص ١٧٧ - ١٩١ .

٣٢. **شرح ديوان حسان بن ثابت**- دار الكتب العلمية. بيروت.
٣٣. **الطبقات الكبرى**- محمد بن سعد بن منيع الهاشمي- دار صادر -بيروت.
٣٤. **شرح قصيدة كعب بن زهير**-جمال الدين بن هشام - مؤسسة علوم القران- دمشق - الطبعة الثانية ١٩٨٢م.
٣٥. **أخلاق الرولة وعاداتهم** - مورل- ترجمة محمد السديس- مكتبة التوبة الرياض ١٤١٧هـ.
٣٦. **الاشتقاق بن دريد**- تحقيق عبد السلام هارون -مكتبة الخانجي .
٣٧. **الكتاب** - سيبويه- ت: عبد السلام هارون -عالم الكتب - بيروت.
٣٨. **سر صناعة الإعراب**-أبو الفتح عثمان ابن جنّي-القاهرة ١٩٥٤م- .
٣٩. **دراسة فنية في شعر الشافعي** - حكمت صالح - عالم الكتب بيروت.
٤٠. **نجران (ق١ - ق٤هـ/ق٧ - ١٠م)** (الجزء الأول) (١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م) .

خامساً: البناء الديني لمنطقة نجران منذ العصر الجاهلي المتأخر وحتى نهاية صدر الإسلام: من سقوط مملكة حمير وحتى نهاية عهد الخلفاء الراشدين (٥٢٥-٦٦١م). بقلم . د. عوض بن عبدالله بن ناحي[1]

١. تقديم :

تهدف هذه الأطروحة إلى دراسة البناء الديني لمنطقة نجران خلال المرحلة التي تلت سقوط مملكة حِمير، حوالي (٥٢٥م) ، وحتى نهاية صدر الإسلام، (٤٠هـ/٦٦١م). وقد حرص كاتب هذه السطور على ترجمة مستخلص هذه الأطروحة إلى العربية، وتقديمه في المؤتمر السنوي لجمعية التاريخ والآثار لما يحمله من تساؤلات ذات أهمية بالغة ونتائج مثيرة ستساهم - بحول الله - في تصحيح كثير من المفاهيم التاريخية حول تاريخ منطقة نجران بشكل خاص، وجنوبي جزيرة العرب عامة. يُضاف إلى ما سبق نوعية المصادر الأولية (سريانية ونقوش) التي اعتمد عليها الباحث في تقديم دراسته هذه، التي ساعدت في تصحيح كثير من القضايا التاريخية للمنطقة. وفي السطور التالية تجد عرضاً موجزاً لمحتوى الأطروحة المكونة من مقدمة، وستة فصول رئيسية،

(١) للمزيد عن الدكتور عوض بن ناحي انظر الصفحات الأولى من هذا القسم . (ابن جريس) .

وخاتمــة، وثلاثة ملاحق. ويأمل الباحث أن يجد الفرصــة قريباً لترجمة الأطروحة إلى اللغة العربية حتى تكون متاحة للقارئ الكريم، والله ولي التوفيق[١].

٢. الملخص العام للرسالة :

سعــت الأطروحة (الرسالــة) إلى الإجابة عن ثلاثة أسئلــة أساسية هي: ما طبيعة البنــاء الديني لمنطقة نجران خلال مرحلة الدراســة؟ وكيف مارست مُختلف الطوائف الدينيــة حياتهــا الدينية؟ وكيف أثــر الإسلام على وجــود هذه الطوائــف الدينية، وقد اعتمدت الفرضية القائلة إن نجران ربما مثلت مجتمعاً متعدد الأديان خلال المرحلة التي امتــدت منذ سقوط مملكة حِمير حتى نهاية العصــر الإسلامي المُبكر. وتتكون الرسالة من ستة فصول رئيسية، إذ تَضمن الفصل الأول أدبيات البحث (Literature Review) نقاشاً نقدياً عاماً عن المصادر الأولية والدراسات الحديثة ذات العلاقة بأسئلة البحث. ففــي الباب الأول الخاص بالمصادر الأولية استعمل الباحث أربع مجموعات رئيسية من المصادر شملت المصادر الإسلامية، المصــادر النصرانية الشرقية (سريانية، أثيوبية، يونانيــة)[٢]، النقوش والآثار[٣]، والكتب السماوية (القرآن والعهد القديم). أما الباب الثــاني فقــد تضمن نقاشاً موسعاً لــكل ما وصل إليه الباحث مــن دراسات حديثة كُتبت

(١) آمل من الدكتور عوض أن يسارع في نشرها باللغة الإنجليزية ، وإذا ترجمها إلى اللغة العربية فذلك أفضل وأصوب . (ابــن جريس) .انظــر: (ابن ناحي) السرياني، ميخائيل، تاريخ ميخائيــل السرياني، ترجمة، مار غريغوريوس صليبــا شمعون، أعده وقدم له مارغريغوريوس يوحنــا(١) إبراهيم، دار ماردين، حلب، ١٩٩٦م . ابن العبري، ابو الفرج جريجوس، التاريخ الكنسي، دهوك، كردستان العراق، (٢٠١٢م).

(2) Wright, W. The Chronicle of Joshua the Stylite, Composed in Syriac AD 507, CUP Archive, 1882. Procopius & Dewing, H. B, Procopius, with an English translation by H.B, Dewing, Cambridge, Harvard Univ, Press, 1914. Moberg, A, The Book of the Ḥimyarites, Lund, Sweden, CWK Gleerup, 1924. Budge, E, The Book of the Saints of the Ethiopian Church, Cambridge, University Press, 1928. Malalas, J, The chronicle of John Malalas, books: VIII-XVIII, 1940. Scher, A, Histoire Nestorienne inédite, Paris, 1907. Shahīd, I, The Martyrs of Najran: new documents, Société des bollandistes, 1971. Berger, A, Life and works of Saint Gregentios, Archbishop of Taphar: introduction, critical edition and translation (The Acts of Gregentios), Walter de Gruyter, 2006.

(٣) الحازمــي، محمــد، ٢٠١١، نقوش مسندية من الجهــة الجنوبية لجبل الكوكب بمنطقة نجــران، رسالة ماجستير، جامعــة الملــك سعود، الرياض، الخضير، نورة، ٢٠١٢، نقوش عربية قديمة من عان الجمل وعان دحضة في منطقة نجران، رسالة ماجستير، جامعة الملك سعود، الرياض.

Philby, H. & Tritton, A, Najran Inscriptions, Journal of the Royal Asiatic Society (New Series) , 1944, issue 76, pp 119-129.JAMME, A, 1962, Sabaean Inscriptions from Ma?ram Bilqîs (Mârib), Johns Hopkins Press. Schiettecatte, J, L’antique Najrân: confrontation des données archéologiques et des sources écrites, Le massacre de Najrân, politique et religion en Arabie au VIe siècle, 2010, Achcbyz, p 11-37.

في أسئلة البحث الحالي لمعرفة مدى إسهامها في موضوعات الأطروحة. وخلصت الدراسة إلى أن مُعظم الأبحاث السابقة ركزت بالدرجة الأولى على دراسة الموضوعات السياسية والاقتصادية والأدبية في تاريخ نجران[١]. بالنسبة للأسئلة المتعلقة بالدراسة الحالية على وجه الخصوص، فإن الأبحاث السابقة لم تهتم أيضاً بقضايا تطور الوثنية، واليهودية في نجران، والمذاهب النصرانية، وأماكن العبادة، أو سياسة الدولة الإسلامية تجاه غير المسلمين من أهل الذمة في المنطقة. وهذا ما يجعل لهذه الأطروحة فرصة تقديم مساهمة معرفية جديدة في هذا المجال البحثي من خلال التركيز على السياق التاريخي للتطور الديني للطوائف الدينية في نجران[٢].

أما الفصل الثاني فقد تضمن خلفية عامة عن أهم الملامح الجغرافية، وتاريخ واقتصاد نجران (The Background of Najran)، حيث اتضح من خلال البحث أن هناك عدة عوامل ساهمت في تشكيل البناء الديني لنجران. أهم هذه العوامل الموقع الجغرافي لهذه المنطقة، الذي يتوسط الأقاليم الجنوبية والغربية والوسطى من شبه الجزيرة العربية، الذي أعطى لنجران أهميه اقتصادية كمركز تجاري مفتوح يقع على طريق القوافل الدولية القديم (Caravan Route). وبالمثل، فإن وجود مساحات واسعة من الأراضي الخصبة، وأراضي الرعي، ومصادر للمياه شكلت عوامل جذب للاستيطان في نجران،وبسبب هذين العاملين الاقتصاديين، استقرت مجموعات صغيرة من القبائل العربية مثل مذحج، وحمير، والأزد، وكندة، وهمدان، وقضاعة، وبكر بن وائل، وبنو إياد في مدينة نجران، والقرى الزراعية على جانبي وادي نجران. وشكلت قبيلة بني الحارث بن كعب أكبر تجمع قبلي من سُكان المنطقة[٣]، حيث عاشت

---

(١) الحديثي، نزار عبد اللطيف، "نجران أهميتها وعلاقتها بالإسلام"، مجلة المؤرخ العربي، بغداد، ع٢٩، ١٤٠٦هـ،المسري، حسين، "نجران ودورها السياسي والاقتصادي"، مجلة المؤرخ المصري، ع٩، يوليو ١٩٩٢م. دلال، عبد الواحد محمد راغب، البيان في تاريخ جازان عسير ونجران، دار التعاون للطباعة والنشر. القاهرة، ١٤١٦ هـ، ١٩٩٥م. ابن جريس، غيثان، نجران، دراسة تاريخية حضارية (ق١.ق٤هـ / ق٧- ق١٠م)، الرياض، ج١، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.

(٢) العُمري، هادي صالح، طريق البخور القديم، من نجران إلى البتراء وآثار اليمن الاقتصادية عليه، من إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٥م، ص ٥٨.
Shahīd, I, Najrān, Encyclopaedia of the Qurʾān, Brill, 2012, (online).

(٣) للمزيد انظر الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ، ج٢، ص ٢٤٦. ابن هشام، عبد الملك، السيرة النبوية، ت، مصطفى السقا وآخرين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٤م، ج٢، ص ٦٣١. الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب، الإكليل، ت، محمد الأكوع، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م. وانظر أيضاً، دلال، البيان، ص ١٢٥. الشجاع، تاريخ اليمن في الإسلام، ط٥، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م،ص ٣٠. (بن ناحي). ذكر الباحث بعض القبائل العربية التي استوطنت نجران من قبل الإسلام وبخاصة قبيلة بني الحارث بن كعب. وهذه القبائل بحاجة إلى من يدرسها في كتب وبحوث علمية مطولة وموثقة. (ابن جريس).

معظم بطونها حياة البداوة والترحال في مناطق الرعي، بينما استقرت النسبة الأقل منهم في المناطق الريفية حول وادي نجران، وفي مدينة نجران نفسها. تبنت كل هذه الفئات السُكانية ديانات مُختلفة خلال مرحلة الدراسة، إذ يبدو أن غالبية سُكان مدينة نجران، وقرى وادي نجران الريفية دانوا بالنصرانية، في حين أن أقلية منهم اعتنقت اليهودية، بالإضافة إلى عدد قليل من الزرادشت (المجوس) [١] وفي الوقت نفسه، اعتنق مُعظم أبناء البادية، الذين كان غالبيتهم بني الحارث بن كعب ديانات وضعية (الشرك والوثنية)، وخاصة عبادة الأصنام[٢] . وأدت الأهمية الاقتصادية لمدينة نجران، كسوق مركزي، دوراً هاماً في تطوير التركيبة الدينية لسُكان نجران كمجتمع متعدد الأديان، وخاصة في المناطق الريفية ووسط المدينة. ويؤكد على هذه الأهمية أن عدد كبيراً من نصارى ويهود المنطقة عملوا في الأنشطة الصناعية والزراعية والتجارية[٣] وفي هذا الشأن، يبدو أنه كان للصلات التجارية بين جنوبي الجزيرة العربية القديمة وفلسطين دور مهم في وجود جماعة يهودية صغيرة في نجران، وربما بداء ذلك منذ القرن العاشر قبل الميلاد وما تلاه[٤] بالإضافة إلى ذلك، خلص البحث إلى أن العوامل الاقتصادية أدت دوراً مهماً في وصول النصرانية إلى نجران، وذلك بسبب العلاقة التجارية بين نجران وبلاد الهلال الخصيب، وهو ما أظهرته المصادر النصرانية والإسلامية على حد سواء.

وكان لازدهار نجران الاقتصادي دور كبير في استيطان طوائف غير عربية في المنطقة[٥] على وجه التحديد، وهناك عدد من المصرفيين اليهود والتجار الأجانب الذين مارسوا أعمال مالية، وتجارية بالمنطقة، كما استقرت أيضاً جماعة من الزرادشت الذين تخصصوا في التعدين[٦] وهذه الأهمية الاقتصادية جعلت نجران

---

(١) ابن الكلبي، هشام بن محمد بن السائب، كتاب الأصنام، ت، احمد زكي باشا، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٤٣هـ،١٩٢٤م، ص ١٠. الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبد الله، أخبار مكة، تحقيق، رشدي الصالح ملحس، دار الأندلس للنشر، بيروت، ١٩٦٥م، ج١، ص ١٢٦.

(٢) أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم، كتاب الخراج ، المكتبة الأزهرية للتراث، تحقيق، طه عبد الرؤوف سعد، سعد حسن محمد. (١٩٦٢م)، ص٨٤.ابن زنجوية، أبو أحمد حميد بن مخلد، كتاب الأموال، تحقيق، شاكر ذيب، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، السعودية، ط١، ١٤٠٦ هـ، ١٩٨٦ م، ج٢، ص ٤٤٧.

(٣) ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب، التيجَان في مُلوك حمْيَر، مركز البحوث والدراسات اليمنية، صنعاء، الجمهورية العربية اليمنية، ط١، ١٣٤٧هـ، ص ١٦٣. الحميري، نشوان بن سَعيد الحميرى، خلاصة السير الجامعة لعجائب أخبار الملوك التبابعة، تحقيق، علي بن إسماعيل المؤيد، إسماعيل بن أحمد الجرافي، دار العودة، بيروت، ط٢، ١٩٧٨ م، ص ٨٧.
Stillman, N, The Jews of Arab Lands, Jewish publication society, 1979, p 159.

(٤) الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب، الإكليل ، تحقيق، محمد الأكوع، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة ، صنعاء، (١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م)، ص ٦٧.

(٥) الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب، كتاب الجوهرتين العتيقتين المائعتين، الصفراء والبيضاء، تحقيق، أ.د. أحمد فؤاد باشا ، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، (١٤٣٠ هـ، ٢٠٠٩م)، ص ٩٦.

(٦) العمري ، طريق البخور، ص ٥٨ . .Shahīd, Najrān, (online)

محط اهتمام القوى المحلية، والإقليمية، والدولية لذلك كانت تحت طائلة التهديد المستمر للصراعات القائمة بين الممالك العربية القديمة، وبين مملكتي حمير والحبشة، وبين القوتين العظميتين الإمبراطورية البيزنطية، والإمبراطورية الفارسية الساسانية فيما بعد. وكان لنجران كمركز رئيسي على طُرق القوافل أحد العوامل وراء اهتمام هذه القوى بالمنطقة، وفي كثير من الأحيان تُشكل مصدراً حيوياً لاقتصاديات تلك البلدان، كونها تتحكم في تجارة التوابل والبخور[١] وهنا يبدو أن العوامل السياسية أدت دوراً بالغ الأهمية في صياغة الخريطة الدينية للمنطقة.

وخلصت الدراسة إلى أن تبني اليهودية كدين للدولة في عهد الملك الحميري تبع أسعد أبو كرب، قد أدى لتعزيز مكانة الطائفة اليهودية في نجران التي كانت تحت النفوذ الحميري خلال تلك المرحلة. وأثر الصراع الحميري- الحبشي تأثيراً خطيراً على الوضع الديني في نجران خلال الربع الأول من القرن السادس الميلادي[٢]. حيث استغل الملك اليهودي الحميري ذو نواس الصراع اليهودي النصراني في المنطقة في محاولة لإعادة تشكيل البناء الديني لنجران، فقام باضطهاد الطائفة النصرانية و محاولة إجبار أتباعها على اعتناق اليهودية حوالي (٥١٨م) [٣]. وأدى ذلك إلى تدخل عسكري حبشي انتهى بسقوط مملكة حمير، ووقعت مُعظم مناطق جنوبي الجزيرة العربية، بما في ذلك نجران تحت النفوذ الحبشي[٤]، وعزز هذا الوضع السياسي الجديد من غلبة النصرانية على اليهودية بشكل واضح في نجران تحديداً، كما هو واضح في ترميم وبناء الكنائس، وتعيين رجال دين جُدد من قبل السُلطات الحبشية. ومع ذلك، فإن جهود الأحباش – على الأرجح– لم تؤثر على أولئك الذين عاشوا في مناطق البادية، إذ ظل مُعظمهم على الوثنية. وقد يكون سبب ذلك تركز الوجود النصراني في المدينة، والمناطق الريفية المجاورة، وذلك بسبب الأهمية السياسية، والتجارية للمدينة.

---

(١) ابن هشام، عبد الملك بن هشام المعافري، السيرة النبوية تحقيق، مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط٢، ١٣٧٥هـ، ١٩٥٥م، ج١، ص ٣٠. الدينوري، أبوحنيفة أحمد بن داود، الأخبار الطوال، تحقيق، عبد المنعم عامر، مراجعة، الدكتور جمال الدين الشيال، دار إحياء الكتب العربي، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ط١، ١٩٦٠، ص ٦١.

Hamilton, F. & Brooks, E, The Syriac Chronicle known as that of Zachariah of Mitylene, Methuen & Company, 1899, p 193.

Malalas, J, The chronicle of John Malalas, books: VIII-XVIII, 1940, p 286.

(٢) المصادر و المراجع نفسها.

(٣) أحمد بن يعقوب بن واضح اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، بريل، ليدن، ١٨٦٠م، ج١، ص ٢٢٦. ابن هشام، السيرة، ج١، ص ٢٦. الأزرقي، أخبار مكة، ج١، ص ١٣٤.

Moberg, The Book of the Ḥimyarites, p cii.

(٤) الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين، كتاب الأغاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م، ج١٩، ص ١٩٦.

وخــلال الاحتلال الفارسي لجنوب الجزيــرة العربية، تمتعت منطقة نجران –على الأرجح– بقدر كبير من الاستقلالية، مع ظهور قوى سياسية رئيسية في المنطقة: وتبنى بني الحارث بن كعب، قيادة الطائفة النصرانية(١)، ومن ثم أصبح مجتمع المنطقة أكثر تنوعا دينيا ضم النصارى واليهود والمشركين والزرادشت. والسؤال المهم الذي يطرح نفسه هنا هــو: لماذا أصبحت نجران تتمتع بالاستقرار السياسي، والتسامح الديني النسبي في ظل حكم الإمبراطورية الفارسية ، على عكس المرحلة الحميرية عندما أضطهد النصارى؟ والإجابــة المنطقية : أنه عندما حكم نجران تحالف مكون من أكبر مجموعتين دينيتين، فإن تقبل المعتقــدات الدينية لبعضهما البعض، ومعتقدات الأقليات الأخرى سيؤدي إلى خلــق حالة مــن التعايش السلمي. وركزت مناقشة الأديــان الرئيسية في منطقة نجران، التــي شملت الأديان الوضعيــة، واليهودية، والنصرانية، والإســلام في وقت لاحق، على مناقشــة كيفيــة إسهــام الديانة في تكويــن البناء الدينــي لسكان المنطقة، مــع مراعاة الترتيــب الزمنــي عنــد دراسة هذه الأديــان. فقد ناقشـ الفصل الثالث تطــور الأديان الوضعيــة أو العقائــد الشركيــة (Polytheism) في نجران. وخلصــت الدراسة إلى أن المعتقدات الوضعية كانت على الأرجح الأقدم في نجران، كما تؤكد الاكتشافات الأثرية، علــى النقيض من الرواية الإسلامية التقليدية التي نسبت انتشار عقائد الشرك لزعيم القبائــل عمرو الخزاعي حوالي القرن الرابع الميــلادي(٢). ويلاحظ باهتمام أن الأديان الوضعيــة تطورت في نجــران من عبــادة ثالوث الكواكــب المقدسة، أي عبــادة الشمس والقمــر والزُهرة، حتى وصلت إلى عبادة نوعين من الأصنام: الآلهة والإلهات. ويبدو أن عبادة الأصنام كانت أكثر أنواع الأديان الوضعية شيوعا بين وثنيي نجران خلال مرحلة الدراســة، فضلاً عن تقديســ الأشجار، والحيوانات، والجــن، والحجارة، والنجوم(٣) . وربما عبد وثنيو نجران العديد من الأصنام كيغوث، وود، والعزى واللات، في وقت واحد، خلافــا لما يطرحه سمــار، الذي يرى أن وثنيــي نجران عبدوا الصنم يغــوث فقط. أما عبــادة وتقديس بعض أنواع الأشجار، والحيوانــات، و النجوم فلا تعكس المفهوم الكامل للطوطميــة كمــا يعتقــد سميث(٤).كما أشار هذا البحــث إلى أن أهم شــرط للطوطمية

---

(١) ابن الكلبي، الأصنام ، ص٨. ابن هشام، السيرة ، ج١، ص ٧٦.

(٢) علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقي، بيروت، ط٢، ٢٠٠١م، ج ١١، ص ٦٠، ٢٦٠.
Hawting, G, The Idea of Idolatry and the Emergence of Islam: From Polemic to History, Cambridge University Press, 1999, p113.

(٣) سعــد عبود سمــار، "قبيلة الحارث بن كعب، إسهاماتهــا و مواقفها حتى نهاية عصر الرسالــة الإسلامية"، مجلة جامعة واسط، العدد ٥، مجلد ٣، ص ٦٧– ١٠٥، ١٩٩٤م، ص ٨٢.

(4) Smith, W, Kinship and marriage in early Arabia, London, A. and C. Black, 1907, p 217.

هو الاعتقاد بالانتساب إلى مثل هذه الأشياء، أو المخلوقات، أو أنها تمثل الجد الأول (ancestors)، وهو وضع لم يحدث في حالة وثنيي نجران. بالإضافة إلى ذلك، تستنتج الأطروحة أن شعائر العبادة التي مارسها وثنيو نجران، مثل تقديم القرابين، وحرق البخور، وتلاوة الابتهالات، والحج إلى أصنامهم، لا تعكس -على ما يبدو- أي ملامح لبقايا الحنيفية، ملة إبراهيم -عليه السلام-، كما يعتقد السيوطي[(١)]. وهذه الطقوس ربما نشأت مع تطور عقائد الشرك نفسها، أكثر من أن تكون من أصول حنيفية. لا يمكن ملاحظة فرضية سيوطي (بقايا الديانة الحنيفية) إلا في شعيرتين رئيستين: الصلاة، والحج إلى مكة. فقد عرفت بين وثنيي نجران ممارسة عدة أشكال للصلاة، كصلاتهم لأصنامهم أو أداء صلاة خاصة، مثل صلاة بدأ المسير إلى الحاج التي كانت تؤدي أمام بيت الصنم يغوث، إضافة إلى الصلاة إلى الأصنام، والصلاة على الجنازة[(٢)]. فبعض هذه الصلوات، وخاصة صلاة الحج، وصلاة الجنازة، لها جذورها في الحنيفية.

وكان الحج إلى مكة شعيرة تمارس على نطاق واسع بين وثنيي نجران، إذ تبين أن معظم أهل نجران قد انضموا إلى طائفة "الطلس"[(٣)]، بينما انضم بعض النجرانيين لطائفة الحمس بسبب علاقاتهم مع أهل مكة. كما يُمكن أن نرى ذلك في ترديدهم التلبية خلال أيام الحج. وقد خلصت الأطروحة إلى أن الحج إلى مكة قد أحدث فيما يبدو أثراً على الوثنية وعقائد الشرك في نجران تمثل في انتقال عبادة عدد من الأصنام من الحجاز إلى نجران مثل أصنام ود، والعزى، واللات. وهذا يقودنا إلى النظر في مفهوم عقائد الشرك في نجران في ضوء تعريف الوثنية، أو الشرك في جزيرة العرب الذي طرحه عدد من الباحثين كدغيم، وهاوتنق(Hawting)، وهويلاند (Hoyland) ومير(Mir)[(٤)]، ويعكس هذا التعريف كيف مارس الوثنيون النجرانيون جوانب مختلفة من حياتهم الدينية من حيث أنواع الإلهة والعقائد وطقوس العبادة. ويبدو أن وثنيتهم

(1) Sayuti, N, The Concept of Allah as the Highest God in Pre-Islamic Arabia, Mcgill University, Montreal, 1999, p 38.

(٢) محمد ابن حبيب، المحبر، تصحيح، ايلزه ليختن، دائرة المعارف العظمي، بيروت، ١٩٤٢م، ص ٣٢٠. أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده، المخصص، تحقيق، خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م، ج ١، ص ٣٨١.

(٣) ابن حبيب، المحبر، ص١٧٩.

(٤) سميح دغيم، أديان ومعتقدات العرب قبل الإسلام، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٩٥م، ص ٨٦.
Hawting, The Idea of Idolatry, p1 – 3. Hoyland, R, Arabia and the Arabs: from the Bronze Age to the coming of Islam, Psychology Press, 2001, p 139. Mir, M, Polytheism and Atheism, Encyclopaedia of the Qurʾān, Leiden, Brill, 2014, (online).

هذه تقوم على عبادة أنواع مختلفة من الآلهة، مع إيمانهم بالله –عز وجل–، كربهم الأعلى. ويتضح هذا المعتقد بوضوح في حالة الصنمين يغوث والعزى، حيث اعتقد الوثنيون فيهما كشفعاء لهم عند الله[١] ،الأهم من ذلك، أن إيمانهم بحقيقة المولى –عز وجل– كان أمراً شائعاً بين وثنيي نجران لأنه كان جزءاً من مفهوم عبادة الأصنام، قبل أن تصل اليهودية و النصرانية إلى نجران. وهكذا، فإن تعريف الشرك في نجران يختلف بشكل واضح مع ما ذهب إليه داوود جرجس حول التأثير النصراني- اليهودي المحتمل[٢] .

وفي الفصل الرابع الخاص باليهودية (Judaism)، تبين من خلال البحث أنه على الرغم من عدم وجود تاريخ تقريبي لوصول اليهودية إلى نجران، إلا إنه ربما كان لليهودية بعض النفوذ في نجران قبل عدة قرون من ولادة المسيح[٣] ، ويستند هذا الرأي إلى الصلات التجارية بين جنوبي الجزيرة العربية والطوائف اليهودية في فلسطين القديمة، والأهمية المتزايدة لنجران نفسها كسوق مفتوح على طريق القوافل[٤] . ومع ذلك، ظل وجود اليهودية في نجران غير واضح، كما هو الحال في مناطق أخرى من جنوبي الجزيرة العربية حتى بداية القرن الخامس الميلادي، عندما تبنى الملك تبع أسعد أبو كرب اليهودية كدين رسمي لمملكة حمير. وقد ساهم هذا القرار في انتشار اليهودية بين بعض أهل نجران، وخاصة بني الحارث بن كعب[٥] ، على الرغم من أن هذا الانتشار كان محدوداً على الأرجح، ربما بسبب قلة أنشطة نشر اليهودية في نجران، على عكس مناطق أخرى في جنوبي جزيرة العرب، حيث كان انتشار اليهودية واسعاً. وتستنتج هذه الدراسة أن أوضاع الطائفة اليهودية في نجران تأثرت بعاملين رئيسين: الظروف السياسية في منطقة نجران وجنوبي الجزيرة العربية بشكل عام، وثانيا علاقة أتباع هذه الطائفة في نجران مع يهود الحجاز، و يهود طبرية في فلسطين و طوائف اليهود في مناطق جنوبي الجزيرة العربية المجاورة لهم . على الرغم من أن بعض أحبار يثرب القادمين من الحجاز أدوا دوراً هاماً في تأسيس كيان للطائفة اليهودية في نجران في عهد الملك تبع أسعد أبو كرب، فإن تأثير الأحبار الفلسطينيين على الطائفة اليهودية النجرانية يبدو أقوى، خاصة خلال العقود الأولى من القرن السادس[٦] .

(١) محمد بن الحسن ابن دريد، كتاب الاشتقاق، ت ، عبد السلام هارون، مكتبة المثنى، بغداد، ط٢، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م، ص ١٥٣.

(٢) داود جرجس، أديان العرب قبل الاسلام، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت، ط٢، (١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م)، ص ١٨٣.

(٣) ابن هشام، التيجَان، ص ٨٧.

(٤) محمد بيومي مهران، دراسات تاريخية من القرآن الكريم (في بلاد العرب)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٥م،مج٣،ص ١٣٤. Stillman, Jews Of Arab Lands, p 3.

(٥) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج١، ص ٢٩٨. عبد الله بن مسلم ابن قتيبة، المعارف، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨١، ص ٦٢١.

(6) Moberg, The Book Of The Himyarites, p cxxiii

ومـن الناحيـة السياسية، فإن هيمنة مملكة حمير على نجـران عززت من الوجود اليهـودي في المنطقة، كونها كانت دين الدولة -كما ذكرنا سابقاً-. ومع ذلك، ظلت هذه الطائفـة اليهودية تمثل أقلية دينية مقارنة مع الطائفة النصرانية، التي انتشرت بشكل كبـير بين أهل نجـران. ويبدو أن غزو الملـك اليهودي ذو نواس لنجـران عكس محاولة لتغيير الخريطة الدينية لصالح اليهودية. ويُمكن استنتاج ذلك في محاولة إجبار أعداد كبـيرة من نصارى نجران على اعتناق اليهوديـة وقُتل عدد كبير أخر من الذين رفضوا ذلـك، باتفـاق كل من المصـادر النصرانية والإسلاميـة[١]، و مع مـرور الوقت، فقدت الطائفة اليهودية في نجران نفوذها السياسي مع سقوط المملكة الحميرية ووقوع نجران نفسهـا تحت النفوذ الحبشي. ونتيجة لذلك، لم تتمكـن اليهودية من كسب انتشار كبير بين المجتمع النجراني، وظل أتباعها يمثلون قلة صغيرة طوال مدة الدراسة. وشكل غزو النصارى الأحباش تحدياً خطيراً للوجود اليهودي في نجران، بسبب الأعمال الانتقامية ضـد بعض اليهود العرب الجنوبيـين، التي سجلتها بعض المصـادر النصرانية[٢]. غير أن الطائفـة اليهودية حافظـت على وجودها كجزء صغير من مجتمع نجران خلال هذه المرحلة الصعبة. وفي وقت لاحق، وخلال الاحتلال الفارسي، تحسنت أوضاع يهود نجران إلى حد ما ربما بسبب انهيار الحكم الحبشي و انحسار نفوذه من نجران. ونتيجة لذلك، فقـد تمتعت منطقة نجران باستقلال أكبر تحت الحكم المحلي[٣]، الذي وفر قبولاً أكبر للوجود اليهـودي كما سبقت الإشارة. وكان لظهور الإسلام أثره على الطائفة اليهودية، كما هو الحال مع بقية الأديان، كما سيأتي تفصيله في الأسطر اللاحقة.

وكمـا ذكرنا أعلاه، على الرغم من أن بعض أحبار يثرب أدوا دوراً هاماً في تأسيس وجـود للطائفـة اليهودية في نجران في عهد الملـك تُبع أسعد أبو كـرب[٤]، فإنه يبدو إن تأثـير الأحبـار الطبريين القادمين مـن فلسطين على الطائفة اليهوديـة النجرانية كان أقـوى، وخاصـة خلال العقود الأولى من القـرن السادس الميـلادي. وفي الحقيقة أنه لا توجـد لدينا سوى معلومات قليلة عن كيفيـة قيام بعثات يهودية فلسطينية بتأسيس أهم متطلبات الحيـاة الدينية كجلب الكُتـب المقدسة، وإنشاء دور العبـادة، وإمامة الصلاة

---

(١) ابن هشام، السيرة، ج١، ص ٣٠. الدينوري ، الأخبار الطوال، ص ٦١.
Moberg, The Book Of The Ḥimyarītes, p cxxiii.

(2) (Moberg, The Book Of The Ḥimyarītes, p cxxxviii. Shahīd, Irfan, ‹Byzantium In South Arabia, Dumbarton Oaks Papers, 1979, pp 23-94. Tobi, Josef, The Jews Of Yemen, Leiden, Brill, 1999, p 4

(٣) الشجاع، عبد الرحمن عبد الواحد، تاريخ اليمن في صدر الإسلام، دمشق، دار الفكر، ١٩٨٧م، ص ٥٩.

(٤) اليعقوبي، التاريخ، مج ١، ص ٢٩٨.

وذلــك يتضــح أكثر خلال عهد الملك اليهــودي ذي نواس(١) ، بالإضافــة إلى ذلك، ربما كان لهــذه البعثــات دورها في نقل مدرستين للفكر الديني همــا الفريسيين والصدوقيين (Pharisees and Sadducees)، إلى يهود نجران(٢). على الرغم من أن تاريخ نشاط هــذه البعثات اليهودية سبقت مرحلة الدراسة ببضــع سنوات، إلا أنها على الأرجح أدت دوراً فعالاً في تشكيل الهوية الدينية للطائفة اليهودية في المنطقة خلال المرحلة اللاحقة التــي تمثل مرحلة هــذه البحث . و يتمثل ذلك بتشكيل مؤسســة دينية يهودية في نجران تكونت من صنفيها الرئيسين: الفقهاء والعلماء (Jurists and Scholars) (٣) .

وفي الحقيقــة فــإن المعلومــات المُتاحة عــن شعائر العبــادة عند الطائفــة اليهودية النجرانية قليلة للغاية. وتُشير بعض الروايات التي قدمتها مصادر إسلامية عن ممارسة يهــود يثرب واليمن في المرحلة النبوية لبعضــ شعائر العادة كصوم يوم عاشوراء، وأداء أنــواع مُختلفــة من الصلاة، والختــان وعقد المناسبــات الدينية اليهوديــة. على الرغم مــن أن هذه المصادر لا توفــر معلومات مُباشرة عن مُمارسة هــذه الطقوس بين اليهود النجرانيــين، فمــن المرجح أن يهود نجــران لم يختلفوا عن بقية يهــود جنوبي الجزيرة العربية والحجاز بصفة عامة في أداء مثل هذه الأشكال من شعائر العبادة.

وفي الفصل الخامس الخاص بالنصرانية يتضح التطور الكبير الذي مرت به الديانة النصرانيــة (Christianity) في المنطقــة. على الرغم من وجــود محاولات مُبكرة لنشر النصرانيــة في نجــران، فإن التكوين الحقيقي للطائفــة النصرانية بنجران ربما حدث خلال النصف الأول من القرن الخامس الميلادي. وهنا يبدو أن العامل الاقتصادي أدى دوراً هاماً في انتشار النصرانية في نجران بسبب الصلات التجارية بين نجران ومراكز النصرانيــة في بلاد الشــام والرافدين، كمــا سبق تفصيله في قصــة التاجر النجراني حيّــان الذي ساعد على إدخال النصرانية إلى نجــران(٤)، أو في قصة الراهب السوري فيميون، الذي جلبه التجار إلى نجران(٥) . وهناك العديد من الجوانب المُثيرة للاهتمام في الحياة الدينية لنصارى نجران. ففيما يتعلق بأماكن العبادة، خلص البحث إلى أن ما

(1) Moberg, The Book Of The Ḥimyarītes, p cxxiii.

(٢) إبراهيــم، حارث، الروايــة العربيّة لاستشهاد القدّيس حــارث بن كعب ورفقائه في مدينة نجــران، بيروت، جامعة البلمند، معهد التاريخ و الآثار و التراث المشرقي، ٢٠٠٧م، ص ٢١.

(٣) أحمد سوسة، العرب و اليهود في التاريخ، حقائق تاريخية تظهرها المكتشفات الآثارية، مطابع الإعلان للنشر والتوزيع، دمشق، ط٢، ١٩٧٥م، ص ٢٦٣. كاميليا أبو جبل، يهود اليمن دراسة سياسية واقتصادية واجتماعية منذ نهاية القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين، دار النمير، دمشق، ط، ص ١١٥.

(4) Scher, A, 1907, Histoire Nestorienne inédite, Paris, p 330.

(٥) ابن هشام، السيرة، ج١، ص ٣١. الطبري، التاريخ، ج٢، ص ١١٩.

ذُكـر عن كعبة نجران ككنيسة كبرى استند بوضوح على العديد من المصادر الإسلامية بسبب سوء فهم النص الأصلي[١] . فكما استنتج ابن الكلبي، فإن الأوصاف المُبكرة لهذا المكان في أشعار الجاهلية لم تُشير إليها كمكان للعبـادة النصرانية[٢] .كما أن الادعاء بأن بيت بني الديان الوثنيين هم أصحاب الكعبة يؤيد الرأي المطروح بأن هذا المكان كان مجرد مقر اجتماع لإقامة المناسبات الاجتماعية. وتخلص هذه الأطروحة إلى أن هناك التباسـاً واضحـاً بين المصادر الإسلامية في التمييز بين مـا أطلق عليه بكعبة نجران أو كنيسة نجران المقدسة.

لم يختلـف النصارى النجرانيون كثيراً عن الطوائـف النصرانية الشرقية الأخرى في أماكـن عبادتهم مـن حيث أنواعهـا، ومسمياتهـا، وأغراضها. فقد عـرف نصارى نجـران ثلاثة أنـواع من أماكـن العبـادة: الكنائس، والأديـرة، والصوامـع[٣]. ويمكن معرفـة الفرق بـين الأنواع الثلاثة من حيـث الموقع، وحجم البنـاء، والغرض منه. وتقع الكنائـس عـادة في وسـط المدينة، والقـرى والمناطـق المأهولة بالسُـكان، في حين كانت الأديـرة والصوامع عادة مـا توجد في مناطق بعيـدة عن التجمعـات السُكانية. والأهم مـن ذلـك أن الكنائس كانـت تُستخـدم لشعائر عبـادة منتظمة كالصـلاة، والتعميد، والاحتفـالات الدينيـة. وفي الوقـت نفسه، كان يسكـن الأديرة والصوامـع أولئك الذين فرغـوا أنفسهـم لحيـاة الرهبنـة[٤] . وكان تطور المذاهـب العقائديـة (Doctrines) للنصـارى في نجران هو مثار جـدل في البحث الحالي، ذلك لأنـه كان عرضة لتغيرات كبـيرة خـلال مرحلـة الدراسة. وتتفـق هـذه الأطروحة جزئيـاً مع عدد مـن البحـوث الحديثـة في النظـر إلى المونوفيزتيـة (Monophysitism) باعتبارهـا المذهب الأكثر شيوعـا بـين نصارى نجـران منذ مطلع القـرن السادسـ الميلادي[٥]. ومـع ذلك، فإن المونوفيزتية نفسها تعرضت لانشقاق خطير أدى إلى تقسيم أتباعها إلى يعاقبة، ويوليان

(١) عبد الله بن عبد العزيز البكري، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ت، مصطفى السقا، علم الكتب، بيروت، ط٣، ١٩٨٣م، ج٢، ص ٦٠٣. ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥م، ج٢، ص ٥٣٨. أبـو الفرج علي بـن الحسين الأصفهاني، كتاب الأغاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م، ج١١، ص ٢٦٠.اليعقوبي، التاريخ، مج ١، ص ٢٩٨.

(٢) ابن الكلبي، كتاب الأصنام، ص٤٤.

(٣) أحمد بن الحسين البيهقي، دلائل النبوة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥، ج٥، ص ٣٨٦.
Berger, A, Life and works of Saint Gregentios, Archbishop of Taphar: introduction, critical edition and translation (The Acts of Gregentios), Walter de Gruyter, 2006, p 51.

(4) Shahīd, I, Byzantium in south Arabia, Dumbarton Oaks Papers," 23-94", 1979, p 75.

(5) Block, C, Philoponian Monophysitism in South Arabia at the Advent of Islam With Implications for the English Translation of 'Thalātha' in Qurʾān, 2012, "pp 50- 75", p 57.

(Jacobites and Julianites) بعد عام (٥٢٥م) [١]. كما كان للطائفتين النسطورية، والملكانية (Nestorianism and Melchitism) أتباعهما أيضاً في نجران عشية ظهور الإسلام[٢] . و هنا، أدت العوامل السياسية والاقتصادية وظيفة هامة في تشكيل الهوية المذهبية لنصارى نجران. ويمكن استحضار دور العامل السياسي في جهود الأحباش بجعل المونوفيزتية كمذهب رسمي للكنيسة في نجران بعد غزوهم للمنطقة. بينما يمكن رؤية العامل الاقتصادي في مسألة وصول النسطورية إلى نجران، الذي ربما كان نتيجة للصلات التجارية بين نجران والحيرة في بلاد الرافدين، حيث كان نفوذ النسطورية قوياً هناك ، وفي الوقت نفسه فإن وجود الملكانية[٣] ، الذي كان المذهب الرسمي للكنيسة البيزنطية، في نجران في أواخر العصر الجاهلي، والعصر الإسلامي المبكر ربما كان بسبب الرغبة البيزنطية في بناء علاقات مع نصارى نجران لمواجهة الاحتلال الفارسي في جنوب الجزيرة العربية.

وتنعكس هذه التعددية المذهبية بين نصارى نجران بشكل واضح في جانبين رئيسين من حياة النصارى الدينية: المفاهيم العقائدية ومؤسسة رجال الدين. ففي مسالة المفاهيم العقائدية (Theological concepts) ، فإن فهم طبيعة السيد المسيح –عليه السلام- كانت محل خلاف بين نصارى نجران. وبصورة أكثر وضوحاً اعتمد المونوفيزيتين الطبيعة الإلهية الواحدة للسيد المسيح –عليه السلام-، في حين اعتقد النساطرة أن للمسيح طبيعتين منفصلتين: إلهية وبشرية. بالإضافة إلى ذلك، يبدو أن الطائفة المونوفيزتية اعتمدت الصيغة الخلقيدونية (Chalcedonian Formulation) حول طبيعة المسيح باعتباره اتحاداً لكل من الطبيعة البشرية والإلهية في جسد واحد[٤] . وعلاوة على ذلك انتشرت مفاهيم عقائدية أخرى بين نصارى نجران كالنبوة، والجنة، والنار، والخلق. ويبدو أن هذه المسائل لم تكن مُثيرة للجدل مثل طبيعة السيد المسيح ـ عليه السلام ـ .

وفيما يتعلق برجال الدين (Clergy) ، فإن الدراسات الحديثة أولت اهتماماً كبيراً لهذه المسألة، بسبب الالتباس الواضح في ألقابها، وأدوارها ومهامها[٥]. وربما كان هذا الالتباس قائما على النص الذي ذكره ابن هشام عن الزعماء الثلاثة للوفد النصراني

---

(١) العايب، سلوى بالحاج صالح، المسيحية العربية وتطوراتها من نشأتها إلى القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي، بيروت، دار الطبيعة، ١٩٩٨م، ص٧٢.

(٢) نفس المرجع.

(٣) ابن هشام، السيرة ، ج ١، ص ٥٧٥.

(4) Block, Philoponian Monophysitism in South Arabia, p 50.

(٥) ابن هشام، السيرة، ج ١، ٥٧٥. محمد بن علي بن حزم، جمهرة أنساب العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ ، ١٩٩٨م ، ج٢، ص ٩٠.

النجـراني إلى المدينـة المنـورة، السيد والعاقـب والأسقف. وقد تتبعت هـذه الأطروحة تطـور أوضاع رجال الديـن في نجران منذ تنصيب بولس الأول كأول أسقف في المنطقة، ووصلـت إلى استنتاجات هامة. فقد تطورت مؤسسة رجال الدين النصارى النجرانيون خـلال مرحلة الدراسة واكتسبوا قدراً أكبر من الاستقـلال الذاتي. فعلى الرغم من أن المونوفيزيتيـة مثلـت هوية معظم رجال الديـن منذ وقت مُبكر، فمـن المحتمل أن رجال الديـن النساطـرة، والملكانيين كانـوا موجودين أيضـاً [١] . كما أن النظـر لمصطلحات السيـد والعاقب والواقف كأسمـاء لرجال الدين النصـارى كان ينطوي على سوء فهم. فقد تبين من خلال دراسة المسؤوليات والأدوار، أن وظيفتي السيد والعاقب كانتا – فيما يبـدو– وظائف سياسية أكثر منهـا روحية. أما مصطلح الواقف فقـد كان على الأرجح المصطلـح لدور الشماس. وفي المجمل كان رجال الديـن في نجران على الأرجح يتألفون من ثلاث رتب رئيسية (Holy Orders): الأسقف، والقس، والشماس.

وفي باب مناقشة شعائر العبادة خلصت الأطروحة إلى استنتاجات هامة حول كيفية ممارسـة النصارى النجرانيين لشعائر العبـادة. فعلى الرغم من شح المعلومات المُتاحة إلا أن المعموديـة أو التعميـد (Baptism) كانـت فيما يبدو طقساً شائعـاً خاصة لمعتنقي النصرانيـة الجدد. وكانت عملية التعميد تقام عـادة في الكنائس في مهرجان ديني[٢] . والصـلاة شعيرة أساسيـة بين نصارى نجران، حيث عرفوا ثلاثـة أشكال من الصلاة هـي: الصلاة اليومية، صلاة الأحد الأسبوعيـة والصلوات الخاصة بالمناسبات الدينية المختلفـة[٣] . كمـا كان الحج جـزءاً هاماً من شعائـر العبادة، وعـرف نصارى نجران نوعـين منه: إذ كان النـوع الأول إلى الكنيسة المقدسة لنجران التي كانت مقصداً للحج في ذكـرى الشهـداء النصارى النجرانيين، أما النوع الثـاني فتمثل في رحلات الحُجاج النصـارى إلى الأضرحة النصرانية في بلاد الشام والرافدين[٤] . وكانت حياة الرهبنة (monasticism) مُمارسـة دينية مزدهرة بين نصارى نجران، وهو ما يتبين في العدد المتزايـد من الصوامع والأديرة التي انتشرت في جميع أنحاء المنطقة[٥] . ويبدو أن ذلك راجع إلى استقرار أوضاع نصارى نجران بعد الغزو الحبشي لنجران. وتفيد التفاصيل المتوفرة أن رجال الدين مثلوا مُعظم من مارس الرهبنة، وذلك بسبب الطبيعة القاسية

(١) العايب، المسيحية العربية، ص ٧٥.

(2) Moberg, The Book Of The Ḥimyarītes, p lxv.

(٣) ابن هشام، السيرة، ج١، ص ٥٧٤. البكري، معجم ما استعجم، ص ٦٠٣. الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص ٥٣٨. الأصفهاني، كتاب الأغاني، ص ٢٦٠.

(٤) لويس شيخو، النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية، دار المشرق، بيروت، ص ٣٩٧.

(5) Shahīd, Byzantium in south Arabia, p 75.

لحياة الرهبانية التي تتطلب الوحدة واعتزال الناس، والامتناع عن تناول اللحوم وقضاء مُعظم الليالي في الصلاة وتلاوة الإنجيل.

أما الفصل السادس فقد ناقش البناء الديني في المنطقة خلال العقود الأربعة الأولى من صدر الإسلام. وبحثت الأطروحة الحالية في الصلات المُبكرة بين النبي- ﷺ - والنجرانيين ، سواء النصارى أو الوثنيين. لكن هذه الصلات لم تنجح في إحداث نفوذ فوري للإسلام في نجران. و يبدو أن بداية دخول الإسلام إلى نجران كانت على الأرجح في العام (٩هـ/ ٦٣٠م) عندما خضع النصارى لحكم الإسلام، مقابل احتفاظهم بحريتهم الدينية، وكما نصت عليه معاهدتا النبي-ﷺ- بالتفصيل[١]. لكن اكتمال سيطرة الإسلام على المنطقة لم يتم إلا في العام التالي(١٠هـ/ ٦٣١م) ، عندما قبل وثنيو بني الحارث بن كعب الإسلام، وأصبحوا جزءاً من المجتمع الإسلامي[٢]. وقد أدى وصول الإسلام نجران إلى إحداث تغييرات كبيرة في البناء الديني للمنطقة، تمثل هذا التغير في اختفاء الوثنية، والشرك، وصعود الإسلام بسرعة حتى أصبح الديانة الأقوى في نجران. أثر ذلك على وضع النصارى، واليهود، والزرادشت الذين اعتنق بعضهم الإسلام. ودخول العديد من النجرانيين إلى الإسلام في وقت قصير يبرز سياسة الدولة الإسلامية في نشر الدين الجديد بين أهل نجران. واعتمدت هذه السياسة على ثلاثة عناصر في زمن النبي- ﷺ - : إرسال البعثات، وبناء المساجد، والكتاتيب، ودعم الرحلات العلمية وقد أسهمت هذه الخطوات الثلاث في كسب المزيد من الداخلين الجدد في الإسلام، ونشأ جيل جديد من العلماء في نجران نفسها في وقت لاحق في عصر الخلافة الراشدة[٣].

وتبدو سياسة الحكم الإسلامي تجاه أولئك الذين احتفظوا بديانتهم، وتحديداً النصارى، مُثيرة لاهتمام العديد من الباحثين الغربيين. وبشكل أكثر وضوحاً، فإن الفرضية الغربية لسياسة الحكم الإسلامي تجاه أهل الذمة في نجران ترى أنه منحهم "قبولاً مشروطاً" (Conditional Acceptance) ، حيث إن الدولة الإسلامية منحتهم مواطنة من "الدرجة الثانية" (Second-Class Citizenship) [٤] . وهذه الفرضية

---

(١) اليعقوبي، التاريخ، ج٢، ص٨١. إسماعيل بن عمر بن كثير، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، (د.ت)، ج٥، ص٥٣.

(٢) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ت، أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة، دمشق، ط٢، ١٣٩٧هـ، ص٩٤. الطبري، التاريخ، ج، ص ١٩٤. علي بن الحسن المسعودي، التنبيه والإشراف، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨١م، ص ٢٥٤.ابن الكلبي، كتاب الأصنام، ص٤٤.

(٣) ابن هشام، السيرة، ج٤، ص٢٤٨. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٣٣٩. ابن خياط، التاريخ، ج١، ص٩٤. الطبري، التاريخ، ج٢، ص١٩٤. وللمزيد انظر :غيثان بن جريس . نجران (دراسة تاريخية حضارية (ق١ق٤هـ/ ق٧. ق١٠م) (الرياض: مطابع الحميضي ، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م) (الطبعة الثانية) (الجزء الأول) ، ص٥١-٩٧ .

(4) Lewis, B, The Jews of Islam, Princeton, N.J., Princeton University Press, 1984, p 62. Ddard, H, A history of Christian-Muslim relations, New Amsterdam Books, 2000, p 31.

محل دراسة ونقد في ضوء حقوق المواطنة والتزاماتها في الإسلام. وخلصت الدراسة إلى أن الجزية في الحقيقة تمثل التزاما ماليا مثل الزكاة، وليس شرطا إضافياً. ويفترض الباحث أن أهل الذمة في نجران تمتعوا بإعفاءات هامة من الخدمة العسكرية ودفع الزكاة، التي يتعين على المُسلمين الوفاء بها. والأهم من ذلك، أن الجزية تبدو بالفعل ثمناً للتمتع بحقوق وامتيازات المواطنة، بدلاً من أن تكون انتقاصاً لحقوق أهل الذمة. وبعبارة أخرى، فإن وثائق النبي ﷺ تُقدم معلومات مفصلة عن كيفية تبني الدولة الإسلامية لسياسة شاملة تجاه الأوضاع الدينية، الأمنية، والاقتصادية لأهل الذمة في نجران[١] . ولم يقتصر مصطلح "الحماية الكاملة" على الحماية الشخصية، بل تضمن صراحة حرية مُمارسة الدين، وسلامة الممتلكات، والحق في مُمارسة الأنشطة الاقتصادية. في الشريعة الإسلامية، وكانت هذه المسائل جزءاً أساسياً من مسؤوليات الدولة الإسلامية تجاه مواطنيها بغض النظر عن عقيدتهم. وتبنى النبي ﷺ سياسة ثابتة منحت قبولاً مشروطاً لغير المُسلمين في نجران[٢] . وأسست هذه السياسة حالة من التعايش السلمي بإعطاء الحرية الدينية، والمادية لغير المُسلمين. ونتيجة لذلك، حافظ مجتمع نجران على هويته الدينية كمجتمع متعدد الأديان، يضم اليهود والنصارى والزرادشت والمُسلمين. إلا أن بنية مجتمع نجران المتعدد الأديان تأثرت في مرحلة لاحقة بإجلاء عدد غير معروف من اليهود، والنصارى من منطقة نجران. ولم يكن خرق حكام المُسلمين للعهود النبوية هو السبب الرئيس وراء هذا الإجلاء، بل كانت بسبب مُمارسة بعض غير المسلمين للربا، الذي كان محرماً في عهد النبي ﷺ . وتخلص الدراسة الحالية إلى أن هذا الإجلاء أدى إلى تغيير كبير في البناء الديني لنجران بجعل المُسلمين أغلبية، في حين أصبح النصارى، واليهود مجرد أقليات دينية.

٣- وفي الختام:

يتضح من كل فصول هذه الدراسة أن استخدام الخيار العسكري في فرض دين، أو طمس دين آخر، لا يُمكن أن يؤدي إلى مجتمع سلمي مستقر متعدد الأديان. ونجد في الصراع اليهودي النصراني دليلاً واضحاً على أن محاولة فرض اليهودية على نصارى نجران باءت بالفشل. في الوقت نفسه، كانت سياسة دولة الإسلام ناجحة بوضوح سواء في نشر الإسلام أو في إقامة مجتمع مستقر يقوم على السلام بين شتى طوائف المجتمع، مسلمة كانت أو غير مسلمة. ذلك لأن الدولة الإسلامية لم تجبر أتباع اليهودية أو النصرانية على اعتناق الإسلام . صحيح أن هناك قواعد وأحكاماً نظمت وجود كلتا

(١) محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة، دار النفائس، بيروت، ط٦، ١٤٠٧، ص ١٧٥- ١٨٣.

(٢) المصادر نفسها.

الطائفتـين في منطقة نجران، و قـد أدى تطبيقها إلى عمليات إجلاء، ولكن هذه قواعد وأحـكام عالجت مسائل سياسيـة واقتصادية، ولم تمس مُمارسـة الدين. وبشكل عام، مثلَّـت نجـران مجتمعاً متعـدد الأديان خلال المدة مـا بـين (٥٢٥ و٦٦١م)، حيث كان المجتمع يتكون من الوثنيين، واليهود، والنصارى، والزرادشت، والمُسلمين. وكان لكل هذه الجماعات طبيعتها الخاصة في الحياة الدينية، مثل المعتقدات، وشعائر العبادة، ورجال الديـن وأماكن العبادة. وقد تأثر هذا المجتمع المتعـدد الأديان بظهور الإسلام وانتشاره حيث أصبح في النهاية دين الأغلبية [١] .

سادساً: خلاصة القول:

القـارئ لهذا القسم يجد تنوعـاً في الزمان والمكان .فالبحثـان الأول والثاني يغلب عليهمـا الصبغـة الأدبيـة واللغويـة ، لكنهمـا يحتويان أيضـاً على تفصيـلات تاريخية وحضاريـة عن اجزاء في منطقة جازان (المخـلاف السليماني) في العصر الإسلامي الوسيـط . وربما يقال أن هذه الدراسات مازالت ناقصة في سردها وتحليلها وتوثيقها ، وأنا أتفق مع هذا الرأي إلا أنهما بحثان جديدان في بابهما ويستحقان أن يكونا عنوانين لكتـب أو رسائـل علمية ، وأرجو أن نرى من أبنائنـا الباحثين في برامج الدراسات العليا في جامعاتنا السعودية الجنوبية من يطورهما إلى أعمال علمية مستوفاة ومكتملة [٢] .

أما الدراستان الثالثة والرابعة فمادنهما تدوران في فلك منطقة نجران ، فإحداهما توثـق صوراً من اللغة والأدب عند النجرانيـين ، والجميل في هذا البحث أنه يدرس علم اللهجات عند بعض قبائل نجران القديمة والحديثة ، ومازالت الدراسة نفسها محدودة في محتواها وتحتاج إلى تطوير وتفصيلات أكثر [٣] . أما الدراسة الرابعة والأخيرة فهي خلاصة رسالة دكتوراه للدكتور عوض بن عبدالله بن ناحي عن : (البناء الديني لمنطقة

---

(١) أشكـرك يـا دكتور عوض بن ناحي على هذه الخلاصـة . وأقول إن بلاد نجـران قبل الإسلام مازالـت بحاجة كبيرة إلى دراسـة أوضاعها الدينية ، والسياسيـة ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، والعسكرية ونأمل منك ومن الباحثين المتخصصين أن يضاعفوا الجهود لدراسة تاريخ وحضارة هذه البلاد العريقة في تاريخها وموروثها الحضاري . (ابن جريس) .

(٢) إننـي أسعـى إلى خدمة بلادنا علمياً وبحثيـاً ، وطرح موضوعات لم تنل حقها من البحـث والتأصيل ، ويظهر ذلك واضحـاً في بعض مؤلفاتي ودراساتي خلال العقود الثلاثة الماضية ، وأرحب بأي إضافات نقدية وتصويبية على كل مـا تم نشره إلى الآن . ونحـن جميعاً طلاب علم نبحث عن العلم النافع والصحيح الذي يرصد الصدق والحقيقة. وبـلاد جنـوب المملكة العربيـة السعودية (تهامة والسـراة) تحتاج منا معاشر الباحثـين والمتخصصين الكثير في ميـدان العلـم والبحـث والمعرفة عبر عصـور التاريخ ، وأرجو من جامعاتنـا المحلية ، أن تلتفت لهـذا الأمر فتدعم وتشجع وترعى كل ما يصب في خدمة الأرض والبلاد .(ابن جريس) .

(٣) اللهجـات موضـوع كبير ، ومنطقة نجران متنوعـة في تضاريسها وتركيبتها السكانية ، وهـي جديرة إلى أن يصدر عنهـا عشـرات البحوث والكتـب وبخاصة في لغات ولهجـات وأدب أهلها منـذ عصور ما قبل الإسـلام حتى وقتنا الحاضر. ونأمل أن نرى من أبنائها من يعكف على دراسة تاريخها وتراثها عبر عصور التاريخ .